



المغامرة في روايات البحر قراءة في روايات حنا مينه
(الشراع والعاصفة، حكاية بحار، الدقل، المرفأ البعيد)

*الباحث: سمير زياب سلمان البديري. أ. م. د. سعد داحس ناصر الحسني
جامعة واسط/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية.

تاريخ الاستلام: 2021-09-09

تاريخ القبول: 2021-10-01

ملخص البحث:

الحدث هو المحرك الروائي الرئيس، الذي ينقل المتميز والمختلف ويحمل معطيات الاثارة التي ترتبط بالتشويق والتوتر، وأحداث البحر من أهم الأحداث التي رافقت حنا مينه في رواياته، فظهرت في الحدث الروائي، مغامرات البحر وأحداث الرحلات البحرية، التي أخذت امتدادها من بيئة الكاتب التي عاش فيها، وكانت المغامرات البحرية حاضرة في كثير من الروايات، التي جُير موضوعها للبحر وما يحصل فيه، فكانت موضوعاتها خالصة للبحر وأحداثه التي حملت المغامرات المختلفة بين جنباتها، والبعض الآخر جاء البحر فيها ثيمة مرافقة لموضوعها الرئيس، وبين هذا وذاك عرض الروائي أحداث البحر التي حملت الجديد والمختلف وبينت مخاطر البحر وصعوباته وبينت اللحظات المختلفة التي يتعرض لها البحارة المغامرون على طول أسفارهم ورحلاتهم، عن طريق تجربة سردية خالصة مزجت الواقع بالمتخيل وتغلغت في عالم البحر وأحداثه.

الكلمات الافتتاحية: المغامرة، البحر، الحدث، حنا مينه.



The Adventure in the Novels of the Sea, Reading in the Novels of Hanna Minh
Sail and Storm, A Sailor's Tale, The Mast , Far Harbor

*Researcher: Samir Dhiab Salman Al-Budairi Dr. Saad Dahes Nasser Al-Hasani
Wasit University/ College of Arts/ Department of Arabic Language.

Receipt date: 2021-09-09

Date of acceptance: 2021-10-01

Abstract

The event is the main novelist engine, which conveys the distinct and different and carries excitement data that are related to suspense and tension. The events of the sea are among the most important events that accompanied Hanna Mina in his novels. It appeared in the novelistic event, the adventures of the sea and the events of sea voyages, which took their extension from the environment of the writer in which he lived, and marine adventures were present in many novels. The subject matter of which was the sea and what happens in it. Through a pure narrative experience that mixed reality with imagined and penetrated the sea world and its events.

Keywords: adventure, sea, event, Hanna Minh.



المقدمة:

إن المغامرة تجربة غير عادية مختلفة ومثيرة يخوض غمارها الإنسان، وقد تأتي المغامرة في الأمور الجديدة والمختلفة في مجالات الحياة من باب المغامرة والابتعاد عن المؤلف، وتُخاض المغامرة في باب تجربة الأمور الجديدة؛ لذلك نرى أن معظم الناس يخافون منها؛ لأنهم "يخافون من الجديد، ولا يحبون التحول إلى الجديد، ويفضلون البقاء على ما هم عليه". (البلاي، مجلة المجتمع/٥٧)، إن لم يكونوا له حرباً؛ وذلك لأنهم يخشون المغامرة وحدثت الخسارة بسبب توجسهم من الجديد. أما في الأدب فإن المغامرة تنشأ من إحساس المبدع الذي تكون لديه القدرة الخاصة على صنع الشيء الجميل والمختلف والذي لا يستطيع أحد أن يصنعه، فهو يتمتع بموهبة لا يتمتع بها كثير من الناس، أو إن المغامرة تنشأ من إحساس المبدع بحاجته للإشباع النفسي، حيث يتمكن من تجسيد خلجات النفس، وتقديمها للناس في قالب فني وعملي يظل عليهم ممتعاً، وهو بهذا العمل الجديد يكسر قيد المؤلف فنياً وأدبياً، ويخرج بالمختلف الذي يحصل فيه على سمة النقر والنجاح التي وصل إليها بأسلوبه المغامر والمُجدد.

ابتعد الأدب العربي عن البحر وتقلص دور البحارة والتجار، أو بتفسير آخر تقلص دور البلاد العربية في تلك الحقبة الزمنية، مما أدى إلى موت حس المغامرة، واكتشاف الطبيعة ومواجهتها، وهي المعاني التي يعبر عنها أدب البحر، لتأتي الدول الأوربية في المقدمة بدلاً من البلاد العربية في هذا الأدب، بعد أن انطلقت من (ماركوبولو) و(ماجلان) و(كولمبوس) ووصولاً إلى قصيدة (البحار القديم)، (مينه، ١٩٧٩/٣٢)، ومن الأسباب التي يراها بعضهم في ابتعاد أدبنا العربي عن أدب البحر، "أننا لا نزال عبيد الجاهلية كما كان أسلافنا نتحدث عن الصحراء والخيل والإبل والسيوف والرماح ونعيش في عبودية مواضيع أتى عليها الزمن"، (مينه، ١٩٨٢/١٠) إلا أن الحق، إن الأدب العربي لم يبق بعيداً كل البعد عن هذه الموضوعات وخوض غمارها، وكان لابد من وجود الفارس الفاتح الذي يعوض عن زمن الصمت والسكوت عن البحر في الأدب العربي، ويجعله سمة أدبية، عن طريق إعادة الخلق الأدبي والإبداع

كانت عوالم البحر عامل إغراء للروائيين العرب، وشغل البحر مكانة مهمة في فضاء الرواية العربية، وتمثل ذلك في روايات كثيرة من الروايات العربية منها: (السفينة) لـ (جبرا إبراهيم جبرا) وروايتي (حين تركنا الجسر) و (مدن الملح) لـ (عبد الرحمن منيف) و (الشرع الكبير) لـ (عبد الله بن محمد الطائي) و (المركب) لـ (غائب طعمة فرحان)، وكثير غيرهم ممن ركب



أمواج البحر روائياً، إلا أنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه (حنا مينه) فكان على رأسهم، في إنتاجه الغزير من روايات البحر، ووظف البحر في العديد من الروايات منها: (الشرع والعاصفة)، والثلاثية: (حكاية بحار) و (الدقل) و (المرقأ البعيد)، وكذلك (الياطر) و (المرصد) و (الرحيل عند الغروب)، وغيرها من الروايات التي كانت مادةً لرواية البحر، وكان البحر هو الثيمة المركزية في تلك الأعمال الروائية.

ارتبطت أحداث البحر عند الروائي بعالم الرجولة والمغامرة المختلفة، منها ما يتعلق بمواجهة البحر وأنوائه، ومنها ما يتعلق بالبحارة، أو المرأة، أو الصيادين، فكانت مغامرات البحر المختلفة عنده لا تكتمل إلا إذا اقترنت بالطموح والوصول إلى مدى البحار السبعة من المشرق إلى المغرب، وهي في حد ذاتها مغامرة إلى المجهول والهوية والانتماء. ومثل عالم البحر عند الروائي العالم الغريب والعجيب والمُتقلب، الذي يرى فيه الوداعة والشراسة والرضا والغضب، فتشكلت المغامرة في هذا العالم باكتشاف الغريب والعجيب بكل سماته وخصائصه، وهدفت إلى بيان الاحداث المختلفة التي يعيشها البحارة عن طريق ارتيادهم المجهول، ومواجهتهم الخطر بالشجاعة التي تراوح بين التهور والجنون، فكانت مغامرة البحر مغامرة المتمرد، الذي لا يخضع لمقياسٍ أو قانونٍ تواضع عليه البشر (مينه، ٢٠١/١٩٩٢). وصاغ (حنا مينه) مغامرات هذا المُتمرد بجميع ألوانها، فكان كما صرح هو قائلاً: "إنني فعلاً وبغير تواضع روائي البحر في الأدب العربي الحديث... ظل أدبنا العربي في عالم اليابسة، وكان لابد من أديب يخترق القاعدة، ليصبح استثناء في مغامرته المائبة، حين قيض له أن يُعايش البحر، ويعاينه ويعانقه، فكان هذا الأديب أنا، وكان في أدبنا العربي، لأول مرة ما يسمى بأدب البحر بعد أن سبقنا إليه الأدب العالمي منذ مئات السنين" (مينه، ٢٠٢-٢٠١/١٩٩٢).

تشكل حدث البحر ومغامراته في روايات حنا مينه

إن الروايات التي كتبها الروائي عن البحر كانت من أكثر الروايات عفويةً ومغامرةً في عمقها الحياتي، وقد كتبها في سن الكهولة، ولكن بنظرة الشاب الذي يمتلك الحياة والحماسة والطموح والفرح، فكانت مغامرات البحر امتداداً للتجديد في الأدب الروائي عن طريق الأبطال، الذين خلقهم وهو يتوق لأن يكون مثلهم، ويمتلك شجاعتهم ويعيش مغامرتهم؛ لذلك في كل رواياته يولد من جديد على أيديهم، فأن خلقهم هو مرة واحدة، فهم كانوا يخلقونه كل مرة بمغامراتهم التي تبعث الزهو وروح الشباب (مينه، ٦٧-٦٨/٢٠٠٠).



تكونت أحداث روايات البحر في الغالب من الصراع بين البحارة والعواصف التي تضربهم، وهم في عرض البحر؛ لأنها اللحظات المختلفة التي تكشف شجاعة الإنسان وتماسكه، وتصرفه في المغامرة من أجل النجاة بنفسه ومن معه، ومن الأحداث التي سردها (الرحموني) في رواية (الشراع والعاصفة)، الحدث الذي تعرض له مركب (بيت سعود): "قلت لكم إن الأمواج كانت كالجبال، وكان هم الرئيس أن يخلص المركب من الغرق؛ لذلك أنزل الخام وغير الاتجاه في دورة كبيرة... وبدأت الرياح تدفع المركب كسهم من قوس... " (مينه، ١٩٨٢/١٩٤). إن اللحظات المختلفة في البحر، تكون وقت العواصف، وهو وقت اضطراب القرار، ولهذا على البحارة أن يلتزموا بقرار رئيس المركب؛ لأنه صاحب القرار والمسؤول عن حياتهم، ومن يخرج عن تعليماته ولم يعرف مسؤوليته، فقد غامر بحياته؛ لذلك عليهم إتقان أدوارهم والثبات في أماكنهم وإلا ضاعت حياتهم وقذفتهم الرياح إلى البحر (مينه، ١٩٨٢/١٩٢-١٩٥). وما أصعب اللحظات عندما يأخذ البحر أحداً من البحارة، ولا سيما عندما يكون أخوه رئيسها: "يا له من موج! ويا لها من ساعة! جميل يصرخ من البحر (يا خي) ومصطفى يجيب من المركب (يا خي!)... لا تخف جنتك، جنتك بالقرب... فقد مصطفى شعوره بالخطر، ولم يعد يحسب حساب الموت، وكان من المستحيل إمساكه بعد أن هدد بإلقاء نفسه في البحر" (مينه، ١٩٨٢/١٩٦-١٩٧). تضيع حسابات المنطق في مثل هذا الحدث، وما أمام رئيس المركب إلا المغامرة، التي تأتي من تجاهل الخطر، وعندما يغامر رئيس المركب بنفسه فهو يغامر بالمركب كلها، وهذه هي غرابة الحدث، والمغامرة جاءت من الشعور بالأخوية وفقدان الأخ الذي كان ينادي ويسمعه أخوه فقط؛ لأن البحر قد أخذه ولم يكن هناك نداء إلا نداء الأرواح، وما نفعت المغامرة التي أظهرت روح المحبة الأخوية والتضحية في سبيل الأخ، فقد غامر (مصطفى) بنفسه، وتحطم قاربه من قوة الموج ولم يستطع انقاذ أخيه.

وفي ثلاثية البحر: (حكاية بحار) و (الدقل) و (المرفاً البعيد)، توالى مجموعة من الأحداث المختلفة في شخصياتها، وأول الروايات هي التي سردت حكايتها (سعيد حزوم) الابن الذي ولد لبحارٍ هو (صالح حزوم)، الذي مثل قمة الرجولة لدى من عرف البحر وعرف (صالح حزوم)، وقد مثل الابن صورة البطل المغامر، الذي يسعى أن يكون امتداداً لحياة وبطولات والده التي عاشها على البحر، فجاءت الرواية على لسانه، مُسترجعاً مغامرات والده. وأتى معها بمغامراته أيضاً؛ لأنه لم يفارق البحر حتى بعد أن كبر ولم يعد بحاراً، فقد ظل يعمل على ساحل البحر مع السياح مُرشداً لهم، وهو في نفسه مازال ذاك البحار الذي يمتلك روح المغامرة حتى وإن علاه الشيب (مينه، ١٩٨١/١٠٧).



خاض (سعيد حزم) أول مغامرة في الرواية، عندما برز له شابٌ يمتاز بقوة الجسد في مقتبل العمر، أمام من كان على الساحل وطلب منه متحدياً مسابقةً في السباحة (مينه، ٢٩/١٩٨١)، إلا أنه لم يعد شاباً وكان عليه إما أن يقبل التحدي، أو يخرج من البحر مُحارباً خاسراً: "تقدم منه الفتى مزهواً، كان على يقين من النصر، إن هذا الكهل لن يصمدُ أمامه في الماء، ولسوف يسبقه بغير مشقة، وستشهد الشمس والبحر والحاضرون، نهاية بحارٍ شيخٍ يُريد أن يسابق بحاراً فتى" (مينه، ٢٩/١٩٨١). جسدت المغامرة اللقاء بين الماضي والحاضر، واطهرت روح الشباب المندفعة التي تحتاج إلى خبرة الكهولة؛ لأن الانتصار لا يأتي بالقوة والاندفاع فقط، وإنما يحتاج إلى الخبرة والتجربة في أمور الحياة، وقد عمد البحار إلى هذه المغامرة والسباق مع الشاب، على الرغم من أنه لم يعد شاباً، إلا أنه خاض المواجهة في البحر الذي طالما كانت له فيه الذكريات والمغامرات ولم يخرج منسحباً من المعركة بلا منافسه (مينه، ٢٩/١٩٨١-٣٣)، فكانت أفكاره تجول بين الأمرين، وفضل، المغامرة وشهد البحر انتصارَ الشيخ المُغامر الذي ظل له البحر وفيماً:

- قال الفتى: رحبت.

- قال (سعيد) بصوت أبح: لا، لم اربح... أنا لا أعد هذا ربحاً...

- قال الفتى بكل طيبة: أما انا فقد خسرت (مينه، ٣٤/١٩٨١).

أدرك (سعيد) أن البحر مكانه الذي يأمن فيه المغامرة، إلا أنه أدرك أيضاً أن الحاضر سيكون ملكاً لذلك البحر، ولن يبقى دوماً هو المغامر المُنتصر؛ لأنه ما عاد يملك قوة الشباب التي تعطيه روح المغامرة الدائمة، وضعفت قوته التي كان يمتلكها في أيام الشباب؛ لذلك كان عليه أن ينأى بنفسه عن عالم المغامرة بأجمعها؛ لأن لكل زمان قوته وقدرته والمغامرة تحتاج إلى قوة الشباب واندفاعه، وانتصار الماضي مرة لا يعني دوام الانتصار.

ومن الأحداث المهمة التي خاضها (سعيد)، مغامرته التي كانت في إحدى البلدان الآسيوية التي فرضت قوانيناً صارمة على البحارة في المرافئ، وكان فحوى هذه المغامرة التمرد والخروج على هذه القوانين بجرأة: "وأنا مُقدم على مغامرة مجنونة... كانت حارة رخصة الملمس بين يدي، ولم أعد في ذلك الوقت العاصف أفرق بين خلاصي ونزوتي. وضعت تماماً صار الموت إلى جانبها، معها، فوق صدرها، شهياً جداً. بل إنني لم أعد أفكر بالموت، ولا السجن، ولا العار، ولا تحذيرات القبطان" (مينه،



١٩٨١/١٢٧-١٢٩). كانت مغامرة غريبةً إنها حكايةً مع امرأةٍ من المرافئ، حكايةً بين الحقيقة والخيال، استرجع (سعيد) ذكريات أحداثها عندما نزل في مرفأ بلد أسويي فرض أنظمة صارمةً جداً على كل غريب يأتي إليها فلا نساء، ولا مخدرات، ولا قمار، ومن يخترق القانون يُسجن أو يعاقب، وغامر البحار وغاب عنه الحذر والخوف ناسياً كل المحذورات؛ لأن مغامرته توجت بالرغبة المتبادلة مع تلك المرأة التي نسي معها الخوف والتردد، إذ كسر معها القانون القسري الذي يوَلد في النفس أحياناً رغباتٍ عكسية يكون سلطانها أقوى من سلطان العقوبات المفروضة.

ظلت هذه المغامرة في ذكريات الراوي، وتوثقت ذكراها بخاتمٍ أبقى نقشاً في القلب مثلما نُقشت هي في حياته: "حتى فتحت الصندوق وتناولت هذا الخاتم الذي في يدي، وألبستيه، وهي تنظر في وجهي نظرة معبرة، نظرة تقول: هذا تنكار مني!" (مينه، ١٩٨١/١٣٧). شعر الراوي بالامتنان العميق للبحر وللمرفأ الذي هيا له هذا الحدث، الذي لم يتكرر، وظل هذا الخاتم تنكراً خاصاً من المغامرة التي دارت في ذلك المكان وبطعم المرأة التي أهدته له، وبطعم الخروج عن الالتزام الذي يحدد من الرغبات الإنسانية قسرياً.

سرد الراوي (سعيد) مغامرة والده البحار (صالح حزم)، الذي امتاز بالفردة، والشجاعة التي يحتاجها الريس البحري ليكون مغامراً يعب البحر عرضاً وطولاً (مينه، ١٩٩٢/٢٠٨)، وقد حصلت مغامرته في يوم عاصف، إذ لم يشهد البحارة مثل هذه العاصفة، فكانت عاصفةً قويةً جداً: "لكن العاصفة ذلك اليوم، كانت شيئاً غريباً، مُرعباً، لا يحدث إلا في المئة عام مرة، وقد لا يشهدها البحار عمره كله" (مينه، ١٩٨١/١٦٢). إن العاصفة لم تكن في البحر، بل كانت في النهر، وهي تدفع تيار النهر بشكل خاطف كالبرق لتصبح أكثر خطراً:

- شددت الكوفية على رأسي جيداً وقلت للريس:

- لن ادع المركب يتحطم .. سأنزل إلى الغيز.

وعلا صوت يقول:

- الوقت ليس وقت مراجل ..

أصررت:



- سأنزل ..

وقال الرئيس صادقاً:

- أخاف عليك...

وأجبت:

- المسلم هو الله.

- لكنني لن أضحى بأفضل رجالي

- أفضل رجالك من لا يخاف العاصفة ٠٠ وأنا لا أخافها (مينه، ١٩٨١/١٦٨).

كانت مغامرةً مجنونةً خاضها (صالح حزوم) لم يسبق أن قام بها بحارٌ قبله؛ لأنها تحتاج البحار الذي يملك الرجولة والشجاعة المختلفة التي تظهر في مثل هذه المواقف، وكانت العاصفة في مجرى النهر أكثر شدة وقرباً من المنازل، وكان لابد من إبعاد الخطر عن هذه المنازل والمراكب، ولم يجرؤ بحار آخر على المغامرة والنزول إلى تلك العوامة، وقطع الحبل خوفاً من أن تجرفه الرياح العاتية، وما وجدت الرجولة والشجاعة في مثل هذا الموقف إلا عند (صالح)، الذي يبحث عن إثبات ذاته بكونه أفضل الرجال في الميناء: "وبقيت حيث أنا، فوق الخشب العائم إلى الصباح، وكانت العاصفة قد سكنت، وانتشر الخبر في الميناء، ومنه إلى المرافئ النهرية، ووصل أصحاب السفن والمراكب ونزلت الزوارق إلى البحر، وانتهت مهمتي" (مينه، ١٩٨١/١٧٧). تمكن البحار (صالح حزوم)، من إبعاد الخطر عن المنازل والمراكب وإثبات شجاعته التي أدهشت البحارة والناس حتى تداولوها في أحاديثهم، فكان هذا الحدث المغامرة التي لم يُقدم عليها أحد، وأقدم عليها (صالح) من غير حسابات للموت أو الهزيمة، ودخلت في سجل القصص التي قصها وتداولها من كان على الشاطئ لتبقى شاهداً عن الشجاعة التي لا يمتلكها الجميع.

استرجع الراوي أحداث (صالح حزوم)، البحار المغامر الذي كان نجمةً في سماء الحي الجائع، وكيف وجد الكنز الذي أطعم الجياع، إذ وجده في البحر الذي يألفه البحار: "ومن عيونهم الحمر، المُحترقة بالملح، ووجوههم المنددة، وثيابهم التي



تلتصق على جسومهم، عرفت أنهم كانوا في البحر. هؤلاء من رجال الليل، من رجال المغامرة، وربما كانوا من المطلوبين" (مينه، ٢٨٨/١٩٨١). ضم الحدث روح التحدي التي تقاوم المحتل وتطعم الجياع بأخذها الحقوق بالقوة لا بالضعف واللين، واشترك مجموعة من البحارة بمغامرة إخراج صفائح الوقود من الباخرة الفرنسية الجانحة في البحر، وبيعها على محطات الوقود وشراء الطعام للعوائل الجائعة، فكان الحدث مغامرة اشترك فيها (صالح)، فهو المغامر الذي يغطس في الماء ليستخرج الصفائح من الباخرة الفرنسية الغارقة التي كان الاقتراب منها مغامرة أخرى، تحتاج إلى روح المقاومة والتحدي والثورة من أجل استرجاع الحقوق التي لا تعطى، إنما تؤخذ عنوة.

سرد (سعيد) مغامرته التي عاشها بصعوبتها ومرارتها باحثاً عن والده، الذي أورثه الشجاعة والرجولة ووضعه في الصف الأمامي ليعانق البحر في ساعة الشدة: "أدركت أكثر من الجميع أن والدي غرق .. محال أن يكون حياً حتى هذا الوقت... إنه في الباخرة، وقد مات .. لقد مات والدي... وانفجرت باكياً، وشرعت أركض باتجاه الباخرة .. مُعترماً البحث عنه بنفسي، ولو كلفني ذلك حياتي" (مينه، ٢٩٣/١٩٨١). انتهت مغامرة الأب مع طلوع الفجر بالموت غرقاً، والحدث القادم هذه المرة حدث بحث فيه الابن عن الأب، وإثبات إرث شجاعة الابن من الأب المغامر.

إن عملية إخراج الجثة من الباخرة الجانحة، كانت تحتاج إلى الشهامة والشجاعة والجرأة، ولا يستطيع أحد القيام بها إلا إذا تجاهل الموت وضحى بنفسه، فكان الابن هو المغامر الذي خلف أباه في البحر: "دنت لحظة الحسم. الآن يبدأ البحث جدياً، الآن أبدأ رحلة المجهول نحو والدي، إنني أغامر، البحر هو المغامرة الكبرى. حين تضع قدمك فيه، تضع الأخرى في ركاب فرس جموح، وتستقبل عالماً مثيراً بما فيه من مفاجآت. عليك أولاً أن تكون خيالاً. إذا لم تكنه فقلب خيال يكفي. البحر يعلمك، لكنه، بالمقابل، يتطلب شجاعتك" (مينه، ٣٠٢/١٩٨١). سرد الراوي حادثته في البحث عن جثة والده، بلا أدوات الغطس، وفي وضوح النهار، إنها مغامرة لا يُقدم عليها من يفكر بالموت أو الفشل، وفيها ترابط الأبناء وتوشجهم مع الإباء والتضحية بالنفس في سبيلهم. (مينه، ٢٠٨/١٩٩٢-٢٠٩)؛ ويظهر الحدث الصراع مع النفس قبل الصراع مع المجهول الذي لا تُعرف نتائجه، وإثبات الشجاعة أمام النفس قبل إثباتها أمام الآخرين.

كان (سعيد) يحمل الشجاعة الكافية ليوافق البحر الغادر: "قلت للبحارين الذين معي إنني سأنزل بمفردي إلى قاع الباخرة. سأكون حذراً، وأتجنب كل مُجازفة، وأحسب حركاتي بدقة، لكن من يدري ماذا هناك، وماذا يصادفني؟ لقد دفعتني حمياً الشباب



إلى اعتبار عملي مغامرة نادرة الوقوع. كان شعوران يتناوباني: الخوف، والمبالغة في تقدير الخطر لتبرير الخوف" (مينه، ٣٠٦/١٩٨١). غطس الفتى مراتٍ عدة في كل مرة كادت تنقطع أنفاسه، محاولاً أن يجد جثة والده، ولم يجد شيئاً، كان يجازف، فما عاد البحرُ صديقاً له . صارع الراوي نفسه الفتية، التي تحمل الشجاعة، فتدفعه للمغامرة المجهولة التي لا يعلم نتيجتها، وصارع حاجته في العثور على جثة والده، وبأنه يستحق أن يكون وريثاً لبطل البحر؛ لأنه ابن البحار الشجاع الذي ما ترك جثة والده غريقاً في البحر، وبين خوفه وتضارب أفكاره استمرت محاولات الغطس، إلا أنه لم يستطع إخراج الجثة؛ لأنه لم يكن قادراً على الغوص وانهارت كلُّ قواه إلا أنه رفض الاعتراف قائلاً:

- لن أبحر الباخرة قبل إخراج الجثة...

- أنت لا تستطيع إخراجها دون المغامرة...

- لتكن المغامرة إذن...

- ومع هذا التعب؟

- أشعر انني استرحت...

- تخدع نفسك...

- ربما...

- وقال أكبر البحارة سناً

- عنيد مثل والده .. لنمنعه بالقوة (مينه، ٣٤٦/١٩٨١-٣٤٧).

حاور الراوي من معه من البحارة متحدياً، ومع شعوره بالتعب إلا أنه يصر ويخادع ليثبت أنه الشجاع الذي قهر البحر واستحق اسم والده الذي، كان بحاراً شجاعاً تعرفه المرافئ ويتحدث الناس عن بطولاته، فكان دافع المغامرة نفسياً بعيداً عن حسابات الخطر .



خاض (سعيد) صراعاً مع نفسه لإثبات الوجود وصراعاً مع البحر لاستخراج جثة والده: "اجتزت الفجوة، اللوح الخشبي عاد إلى مكانه، دفعته إلى أعلى...مددت يدي وشدت الجثة...قررت الخروج. خرجت كسهم. تلقني البحارة، وسمعت بعد قليل صراخهم: خرجت الجثة" (مينه، ١٩٨١/٣٤٦-٣٥٢). إن المغامرة التي قام بها الراوي، تحتل الموت أو الحصول على من مات، حيث جازف الابن بالغطس ليوم كامل في ماء البحر المالح من غير أدوات الغطس وملابسه، وجازف بالوصول إلى الباخرة الفرنسية في وضح النهار، ورفض الهزيمة النفسية والجسدية، وانتهت مغامرته بإخراجه جثة لم تكن لوالده . وأخفى الروائي جثة (صالح حزوم)، وختم الرواية بمغامرة ظلت عالقةً في ذهن القارئ ولم تنته ولم يعرف نهايتها.

تجاوز الروائي في الجزء الثاني(الدقل)، فضاء المساحة المكانية والزمنية لحياة الشخصيات في الرواية التي كان بطلها (سعيد حزوم) في استرجاعه حكاية بحارٍ بلغ روح الشباب، وأراد أن يصارع البحر وأنواءه وتقلباته؛ لأنه كان يحمل روح المواجهة مع البحر الذي تربطه به علاقة التآزر، وما كان يريد إلا إثبات ذاته للبحر وللبحارة الذين يعملون عليه، مُتحدياً تائزراً، يصل إلى غاية المغامرة التي يحملها صدره (مينه، ١٩٨٢/١٣)، في إثبات اسمه الذي اقترن باسم أبيه في أي مهمة تأتي عبر البحر: "خلع الرئيس عبدوش سترته بغير حذر... تولى بنفسه قيادة الدفة... واسودت الدنيا في الجهات الأربع، قطعت العاصفة عليه طريق الإيغال في البحر. لا يمكنه أن يتجه ضد التيار ولا يستطيع أن يدع نفسه للتيار أيضاً" (مينه، ١٩٨٢/٣١٨). تساوقت أحداث البحر مع الأحداث التي عاشها البحارة، ف (سعيد) الذي يمتلك حب المغامرة سيعتاد على مواجهة عواصف النوء الخطيرة والمحتملة، بشجاعته ومهارته واقتحامه مصاعبها، وسيمثل البحار المجازف الذي يستقبل الموت متى ما أراد أن يأتي:

- قال بحارٌ

- لا تصعد إلى الدقل بنفسك يا ريس .. مازال الجميع بحاجة إليك.

- أختَر واحدًا منا ..

- هذا صعب عليّ، لا أستطيع ..

- علا صوت (سعيد) من المؤخرة:



- لا تفكر يا ريس.. أنا لهذه المهمة...

وقال (سعيد):

- ما عليك يا ريس .. إذا مت قل لولدي ما تراه مناسباً ..

- أجب بحار:

- سنقول له إنك كنت أبنة الحقيقي ..

- هذا يكفي .. (مينه، ١٩٨٢/٣٢٦-٣٢٧)

منع البحارة رئيس المركب من الصعود إلى الدقل؛ لأنهم يدركون خطر الموقف، ومن أجل ذلك لا يريدون أن يفقدوا رئيس المركب، وهم في نفس الوقت لا يمتلكون الشجاعة الكافية للصعود إلى الدقل بأنفسهم، لذلك انتظروا الرئيس أن يختار واحداً منهم لهذه المهمة، ومع خوفهم الداخلي إلا أنهم سيقبلون المغامرة لو وقع عليهم الاختيار، وفي احتدام الصراع وشدة التفكير كان (سعيد حزم) يبحث عن إثبات الذات والانتصار في حدثٍ يجعل منه بطلاً ويتردد ذكره على الألسنة، وكان هذا الحدث هو المغامرة التي ترددت عن القيام بها الآخرون، وبرز لها (سعيد) بعيداً عن الخوف والتردد.

ظهرت نتيجة المغامرة مع بحار آخر عندما فُذف في البحر ومات، فكان الصعود إلى الصاري الذي يحمل أحد أشرعة السفينة، أو تركه مغامرة كبرى؛ لأن العاصفة ستطمح المركب إذا بقي يرتطم بالدقل، وجاءت المغامرة في هذا الحدث؛ لأن (سعيد) لم يكن ذا خبرة كافية في البحر فهذه أول رحلة له؛ وصعوبة الوصول إلى الصاري الذي يحمل الأشرعة؛ بسبب قوة العاصفة؛ ولأن نتيجة المجازفة قد تكون الموت، بعد أن بادر بحاراً قبله وانتهت مغامرته بالموت (مينه، ١٩٨٢/٣٢٣).

إن مغامرة (سعيد) اشتملت على صراعه مع ذاته وكيف يجعل منها حديثاً للميناء، عندما يبرز في حدثٍ مختلف لم يستطع أحدٌ غيره الإقبال عليه: "كان يبذل كل ما في مُدخر طاقته من قوى... أدرك الآن إن مهمته ليست باليسر الذي تخيله وهو على سطح المركب. فهم لماذا تردد البحارة وتركوا للرئيس أن يختار من يريد منهم. كانوا خائفين في أعماقهم" (مينه، ١٩٨٢/٣٢٨). إن البحارة المتمرسين كانوا يقدرّون خطر المغامرة، إلا أن (سعيد) أداها بتهورٍ وبروح الشباب التي يحملها



مستبعداً حسابات الفشل؛ لأنه كان يبحث عن الانتصار مع ذاته أولاً، والاختلاف عن غيره ثانياً، وهدر الرعد وصخب الأمطار، ونجح (سعيد) وقطع الحبل، إلا أن المغامرة لم تنته، بالنجاح وغرق المركب .

سرد الروائي ثلاثية البحر، بمادة حكاثيه مُتماثلة، كرر فيها أحداث البحر والعواصف وما يلاقيه البحارة في رحلاتهم. واختلفت الثلاثية باختلاف الثيمة الروائية، حيث ساد في الروايات أن يبحث الأب عن الابن، إلا أن مغامرة الروائي جاءت بجعل الابن يبحث عن الأب (مينه، ١٧٤/٢٠٠٠)، وامتاز الجزء الثالث بالتنوع الإيقاعي في الأحداث من سرعة في سرد بعض الأحداث أو تباطؤ في بعضها الآخر. وكان الراوي (سعيد حزوم) يأخذ بنفسه زمام الأمور في رواية أحداث (المرفأ البعيد)، التي تنقل واقع الحياة الذي يعيشه طواقم العمل في الميناء، ومهمة كل بحار في المركب، وحياة المدن البحرية التي تكون بقرب الميناء، فكانت الرواية صورة حقيقية وواقعية لتلك المدن.

ظل (سعيد) يبحث عن المغامرة؛ لأنه لم يستطع إثبات الذات، ذات البحار الشجاع الذي ورث الشجاعة من والده، وهو في نفسه يردد أن البحار ليس بحاراً في اللحظات الطبيعية (مينه، ٢٠/١٩٨٣)؛ لأنه يحتاج إلى المغامرة، ليكون رجلاً، ليكون شيئاً مختلفاً: "أنت يا (سعيد)، تحب المغامرة، عرفتها مع الرئيس عبدوش. عرفتها مع الرئيس زيدان. عرفها قبلك ابوك، في تلك العاصفة النهرية، عرفها في عشرات المرات، التي كان فيها الموت غولاً يحدق فيه بعينين غائرتين فيهما سردابان مروعان من شرٍ وخبث" (مينه، ٢٣٦/١٩٨٣). كان (سعيد) يبحث دائماً عن المغامرة والانتصار إقتداءً بما فعله (صالح حزوم). ولم تنته عقدة الثأر من البحر حتى مع مر السنين وتطور المراكب وتحولها إلى باخرات عملاقة لا تهزها الرياح أو العواصف. ودامت أحداث العواصف، ومواجهة الإعصار بشجاعة، ودامت أحداث التحدي بين البحر وبين البحار الذي يبحث عن تخطي الموت بشجاعة:

- تقدير أتجاه الاعصار صحيح .. قال برود روموس:

- نحن في حالة مغامرة على كل حال .. إلا أنني أوافق على خطة القبطان.



- عارض النائب الثالث: في قرار القبطان مجازفة كبيرة .. لماذا لا نعود إلى خط سيرنا الأول، ما دامت توجيهات الموائى تتطابق معه (مينه، ١٩٨٣/٢٨٢).

نجحت مغامرة القبطان، وأنقذ الباخرة من الغرق، وعاد إلى منتصف المحيط مع إتجاه العاصفة وبمساعدة سرعة المحركات، نجت الباخرة من الإعصار والتحطم في عرض البحر، أصبح القرار في مثل هذه الأمور يحتاج إلى الخبرة وإلى رجاحة الرأي، وإلى الشجاعة الكافية لإصداره ومعرفة نتائجه، فقد أصبحت السفن لا تعتمد على الرياح التي تدفعها باتجاه واحد، والبحر أصبح من علوم الطبيعة التي يتدرب عليها البحارة ويدرسونها ويتقنون كل التغيرات فيها.

سيطرت على مخيلة الراوي فكرة الثأر من البحر، ومع أنه حقق بعض الانتصارات في مغامرته الجسدية، إلا أنه انتهى بالهزيمة النفسية؛ لأنه لم يستطع الوصول إلى ما وصل إليه (صالح حزوم)، وأصيب بحالة نفسية وأدخل إلى المصحة النفسية، وقضى فترة للعلاج فيها، وكان من توصيات الطبيب أن يبقى (سعيد) قرب البحر وأن لا يبتعد عنه؛ لأن البحر عامل من عوامل علاجه النفسي، الذي يذكره بالمغامرة والتحدي (مينه، ١٩٨٣/٣١٤).

حضر البحر في أكثر روايات (حنا مينه)، وما كُتب لا يدرك كل المغامرات، وحتى الروايات التي لم تكن خالصة للبحر، تضمنت البحر في ثناياها، وكما يقال: (إن الإنسان ابن بيئته)، كان الروائي ابن بيئته، ابن البحر الذي تربي على ساحله، فعرفه بكل تناقضاته وغموضه وأسراره، واستطاع أن يخلق له تجربة سردية خاصة، من خلال تغلغه في هذا العالم، الذي أثر في نفسه وفي عالمه الإبداعي، وهو يستحق لقب (أديب البحر) لإنتاجه الغزير الذي تناول فيه البحر، حتى أن كثيراً من أصدقائه وقرائه كانوا ينتظرون جديد رواياته، التي يسردها عن البحر، فيذهبون ملتقطين هذه الروايات ويحققونها حباً ورغبة بعيشها كما في حقيقتها. وإن كان قد تعذر على الروائي نفسه القيام بالمغامرات، إلا أنه وجدها حاضرةً عند كثير ممن يتابعه ويقرب منه، وهذه هي المفارقة، فهو يكتب المغامرة ليعيشها غيره، ويقوم بها بدلاً منه، وهذا ما عرفه من أحد الأصدقاء عندما رحل على ظهر باخرة للشحن وأرسل له من اليونان يقول: "حياً بك وبروايتك، غامرت وركبت البحر، وجئت اليونان وعرفت بحارة الشحن... كم تمنيت أن تكون معي" (مينه، ٢٠٠٠/٤٢).

كان البحر مصدر الألهام الدائم عند الروائي، ومصدر الاستمتاع لدى الآخرين بخوضهم مختلف المغامرات، التي انعكست في الرواية؛ لإقترابها من الواقع، حتى ليظن القارئ أنه المغامر الذي يتكلم عنه الروائي، فيخيل له عيش تلك



المغامرات التي بينت حياة البحارة و مفارقاتها التي يعيشونها في عرض البحر، والتي أظهرت بطولة الإنسان الذي يقاوم البحر في أبهى تجليات المقاومة محافظاً على براعته وقدرته على النهوض بعد كل سقوط.

صنع الروائي الشخصيات التي تمتلك الخيال الجامح والروح المغامرة، وقد جعلهم مثل البحر الذي يجاوره، وادعين يحملون كل البراءة وشرسين يحملون كل المغامرة، وحياتهم متنوعة تحمل كل جديدٍ وخصب ومغامر، فكانت حياتهم ملونة بألوان الفصول الأربعة، تُقدم لوحاتٍ من مغامرات المدن الساحلية التي: "تغمس كالحسناء، ساقها في الماء، فلا تعرف أيهما أجمل: البحر أم الساقان" (مينه، ٢٠٠/٧٩). لقد صاغ الروائي مغامرات المدن الساحلية، ليجعلنا لا نعرف أيهما أجمل مخاطرها وصعوباتها وقدرة الشخصيات على خوضها، أم البحر الذي يحتويها بكل ما فيها.

المصادر

- حنا مينه، الدقل/ دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط-١، ١٩٨٢م.
- حنا مينه، الشراع والعاصفة/ دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط-٤، ١٩٨٢م.
- حنا مينه، المرفأ البعيد/ دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط-١، ١٩٨٣م.
- حنا مينه، حكاية بحار/ دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط-١، ١٩٨١م.
- حنا مينه، حوارات وأحاديث في الحياة والكتابة الروائية/ دار الفكر الجديد، بيروت، لبنان، ط ٢-١٩٩٢م.
- حنا مينه، هواجس في التجربة الروائية/ دار الآداب، بيروت، ط-٣، ٢٠٠٠م.
- محمد كامل الخطيب، عبد الرزاق عيد عالم حنا مينه الروائي، / دار الآداب، بيروت، لبنان، ط-١، كانون الثاني، ١٩٧٩م.

Sources:



- Hanna Mina, Al-Dagal / Dar Al-Adab for Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, i-1, 1982.
- Hanna Mina, The Sheraa and the Storm/Dar Al-Adab for Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 4th edition, 1982.
- Hanna Mina, The Far Port / Dar Al-Adab for Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1983 AD.
- Hanna Mina, The Story of a Sailor / Dar Al-Adab for Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, I-1, 1981 AD.
- Hanna Mina, Dialogues and Conversations in Life and Narrative Writing, Dar Al-Fikr Al-Jadeed, Beirut, Lebanon, 2nd edition, 1992.
- Hanna Mina, Obsessions in the Novelistic Experience / Dar Al-Adab for Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 3rd edition, 2000 AD.
- Muhammad Kamel Al-Khatib, Abdul Razzaq Eid, the world of Hanna Mineh, the novelist, / Dar Al-Adab, Beirut, Lebanon, -1, January, 1979.